دور مراكز القياس حول واقع

اللغة العربية ومدى تأثرها باللهجات والعاميات

الدكتور فهد سالم خليل الراشد
باحث لغوي – دولة الكويت
المنظمة العربية للتربية والثقافة
والعلوم إدارة الثقافة

مقدمة

في هذه المقدمة سوف نتكلم عن العموميات قبل أن ندخل في صلب الموضوع؛ فنحن بحاجة إلى مراكز قياس ترسم لنا طريقا معبدة لمستقبل لا يقبل الشك، مستقبل واضح المعالم لا يقبل الرياء أو النفاق أو الإطراء أو التلميع أو التدليس؛ نحن بحاجة إلى مشاريع جديدة وعصرية ومفيدة، نحن بحاجة إلى بحوث ودراسات جريئة؛ إن الذي يجعلنا نحترم عمل بعض المنظمات العربية كونها لم تعتمد على الدراسات النظرية فقط ؛ إنما نزلت إلى أرض الواقع وأجرت عدة دراسات ميدانية على شرائح متنوعة المشارب؛ ومتعددة الاتجاهات من المجتمع العربي من خلال مراكز قياسها .وهنا جاز لنا أن نتدخل لنقول : إن الساحة العالمية والعربية المعاصرة تعج بالدراسات والبحوث والمقالات

العلمية وغير العلمية؛ حتى أصبحت نسخة طبق الأصل، تكرار وحشو وهذا يسرق من ذاك تحت مسمى الاقتباس أو التناص وهلم جرا .والسؤال الذي يطرح نفسه اليوم وفي عصرنا هذا : ما الجديد الذي سوف نقدمه إذا ما قمنا بأي بحث أو أجرينا أية دراسة، أو كتبنا أي مقال لإنشاء مشروع ما؟ في نظري وفي هذا الزخم الكبير من الدراسات والبحوث والمقالات لو أتى الباحث بفكرة واحدة جديدة سوف أعتبرها إنجازا نثمنه ونقدره له، ولكن هيهات هيهات ترى الجديد إلا في صفوة الصفوة ونخبة منتقاة نقبت وبحثت وسهرت الليالي بأناة حتى جاءت بما هو جديد.

أسباب نجاح أو فشل المشروع

1- اختيار المشروع : من السهل جدا أن تجد مشروعا، ومن السهل جدا القيام به وتنفيذه وإنجازه، ولكن من الصعب جدا جدا أن تختار نوعية المشروع الذي يتوافق مع الوضع الاقتصادي ويتواءم مع الحالة الاجتماعية والاستقرار الأمني. فنجاح أو فشل المشروع مرهون بمدى حاجة الناس له أو حاجة الدول له؛ لذا جاءت مراكز القياس لتكون رديفة لإنجاز أي مشروع أو موجهة له فهي التي تقوّم المشروع وهي التي تقيّم المشروع بعمل موازٍ مع خطوات إنجاز المشروع؛ مذ كان فكرة إلى دخوله حيز التنفيذ، ثم متابعته لقياس مدى نجاحه. إذن مراكز القياس إن جاز لنا تسميتها فهي لجنة متابعة المشروع . والمحافظة على اللغة العربية وتطويرها وتيسيرها وإحيائها مشروع ليس دولة فحسب، بل هو مشروع أمة؛ إذ لا بد من مراكز قياس في كل دولة لهذا المشروع القومي، فلا يعقل أن يترك سدى، أو بيد عقليات محدودة، وإمكانات ضئيلة، وتمويل شحيح.

2- الاهتمام بصاحب المشروع : لم يعد الآن فكرة صاحب المشروع فردا واحدا، اليوم المشروع أصبح فكرة جماعية مختصّة، وفكرة دولة بمؤسساتها، وفكرة منظمات عربية بإداراتها وإداراتها كل لا يتجزأ، ومنظومة مكملة لبعضها، فمن الخطأ بمكان قصر النشاطات والمشروعات على إدارة معينة من الإدارات أو احتكارها من قبل أشخاص معنيين؛ إذن الاهتمام بصاحب المشروع مطلب مستحق ولا بد أن تتضافر الجهود لمساندة صاحب المشروع سواء بتبادل الخبراء والمستشارين أو الأموال اللازمة، أو الأيدي العاملة .. وهكذا .

3- المدة الزمنية : نحن العرب متهمون بأننا لا نحترم الوقت أو لا نعير اهتماما للوقت حتى في مواعيدنا الشخصية (لعل من المؤلم أن تسمع شخصا إذا واعدته يقول لك وعدا إنجليزيا لأن ديننا الحنيف حرص كل الحرص على احترام الوقت والالتزام بالمواعيد)؛ فما بالك بمشاريع عملاقة خصصت لها ميزانية كبيرة .

لذا ؛ عندما أقف عند جزئية الزمن ليس اعتباطا ولا عرضا؛ بل لأنني أدرك تمام الإدراك أهمية هذه الجزئية وتأثيرها في تقدمنا وحضارتنا ورقينا – على الأقل – في ردم الفجوة الرقمية بيننا وبين الغرب المتقدم علينا بعشرات السنين في جميع المجالات .

إن عجلة الزمن تؤرق كل مفكر أو مثقف لأنه يحمل هموم أمته العربية على عاتقه، ويأمل أن يرى لها مستقبلا زاخرا في خضم المتغيرات والمستجدات العصرية؛ فهو لا يريد أن يتغنى بالماضي التليد، إنما يريد أن ينجز بالحاضر ويفخر بالمستقبل .

إذن الزمن عامل مهم جدا؛ فمن الماضي نستلهم الحاضر، ومن الحاضر نبني المستقبل، وتحديد المدة الزمنية لإنجاز مشاريعنا ينعكس إيجابا على حياتنا اليومية وتعاملاتنا مع الآخرين .

4- البيئة : أو المكان سمها ما شئت : المهم أن نجد بيئة خصبة وملائمة لاحتضان الدراسات والبحوث، وأعني بالبيئة الخصبة تلك البيئة التي توفر مناخا هادئا للباحث العالم بعيدا عن ملهيات الحياة ومشاغلها ومشكلاتها ، وهذا معمول في (أميركا ؛ فالباحث العالم لا ينجز معاملاته اليومية ولا يسدد فواتير الكهرباء والماء ولا يشغل نفسه بتوصيل الأولاد إلى المدارس لأن الدولة وفرت له من يقوم نيابة عنه بجميع هذه الأعمال وفرغته للبحث العلمي الذي سوف تستفيد منه الدولة بلا شك).

أما البيئة الملائمة : هي تلك البيئة التي تتوفر فيها آليات التنفيذ، والحديث عن الآليات يطول ولا مجال لبسطه ههنا ، ولكن على سبيل المثال لا أقيم مصنعا على أرض نفطية، فمدخول النفط أكثر بكثير مما يدره عليّ المصنع؛ ولكن من الممكن أن أعمل مصنعا خارج القطر وبعمالة رخيصة الأجر ومتوفرة .

5 – **اختيار الخبراء** : المصطلح يدل على أن هناك خبرة؛ والخبرة لا تتأتى إلا بعد طول تبصر وقراءة وبحث إضافة إلى الفراسة والحدس، إن صح القول فإن الخبير هو المستشار أو قل هو المستشرف (والاستشراف ليس علما قائما بذاته، بل هو مصطلح يسبق أي علم كمصطلح الاستراتيجية – مثلا – فهناك الاستراتيجية الحربية والتربوية والاقتصادية ...وهلم جرا).

لذا ؛ نرى أن المستشرف هو مصطلح يسبق كل العلوم؛ على سبيل المثال ؛ الاستشراف التربوي الاستشراف الاقتصادي الاستشراف الاجتماعي ... وهكذا .

لو أردنا أن نعرّف المستشرف؛ فمن هو المستشرف ؟! وما مؤهلاته ؟ وماذا لديه من خبرة ؛ وماذا قرأ ؟ وماذا أنجز ؟ وماذا اخترع وابتكر ؟ وماذا ألف ؟ وماذا صنع ؟ فلا يعقل أن نأتي برجل أو امرأة لم يتجاوزا الثلاثين من عمرهما ثم نطلق على كل واحد منهما مسمى خبير ! أين الخبرة في هذا العمر القصير؟ ! إذن المستشرف هو ذاك الخبير الذي أفنى معظم عمره بدقة البحث والتحري.

وللأسف – ففي يومنا هذا – اختلط الحابل بالنابل ، كما يقال ؛ فلم نعد نفرق بين الباحث المدقق والقارئ المتذوق . ولم نعد نعرف الإداري من الفني من المتخصص من المختص .

ولعل هذه الازدواجية ، أو هذه الفوضى العصرية عندنا هي سبب رئيس في عرقلة مشاريعنا؛ لأننا لا نعرف من أين نستقى المعلومة ؟ وكيف ننهل من المعرفة؟ وكيف نستفيد من الفكرة ونوظفها في إطارها الصحيح؟ ، كل من هب ودب أصبح خبيرا. وجاز له أن يستشرف للمستقبل في جميع الميادين، فإذا لم نتريث قليلا ونرجع إلى الوراء لنصلح هذا الخلل، ثم ننظم صفوفنا من جديد، ونرتب أفكارنا، ونضع الأمور في نصابها والمسميات في موضعها الصحيح، وبعد ذلك ننطلق من قاعدة واضحة وصلبة القوائم وفق ضوابط ومعايير ومقاييس دولية وعلمية بحتة كي يتسنى لنا المضي قدما في إنجاز مشاريعنا والاستفادة منها، وإلا فسوف نظل نتخبط ولن نخرج من المربع الأول ولن نتجاوز نقطة الصفر إلى الأبد .

5- ميزانية المشروع : لكل مشروع شقان؛ شق إداري ، وشق فني تقني. وميزانية المشروع تجمع الاثنين معا، فالشق الإداري معني بميزانية المشروع ككل لا يتجزأ، وهناك لجنة مراقبة تتابع إنجاز المشروع وفق الميزانية المخصصة له، وقد لا تنظر إلى جودة المشروع ومدى الاستفادة منه؛ إذ بعض المشاريع المهم فيها أن تنجز وتدون كنشاط للمنظمة أو الوزارة و الإدارة، ولكن الشق الفني التقني يحرص كل الحرص على جودة المشروع؛ لذا فهو يحرص على استقطاب أفضل الخبراء والمستشارين، وأفضل الأيدي العاملة، حتى لو كانت التكلفة كبيرة، وحتى لا نقع أسرى ميزانية ضعيفة، وتأتي مشاريعنا هشة ومهلهلة، بحجة الرخص، منذ البادية نعد ميزانية مفصلة ومجزأة على المشروع، ونعتمد على مراكز القياس في مدى الاستفادة من هذا المشروع.

دور مراكز القياس التربوية العلمية

النظر والمتابعة في :

- تشكيل لجنة استشارية من الدول العربية الأعضاء في جامعة الدول العربية والمنظمات العربية والإسلامية المتخصصة، وتضم في عضويتها مختصين في اللغة العربية لعرض أي مشروع خاص باللغة العربية عليهم ومن ثم إجازته.

- بلورة الفكرة، والإلمام بجميع زوايا المنظومة التعليمية في الوطن العربي – لا سيما –الأنساق (الوطنية والقومية والدولية) التي تربط المتعلم بذاته وهويته، من ثم الانفتاح على الآخر .

- كل خطة يجب أن تكون منسجمة مع الواقع، ويجب أن تكون واضحة المعالم، وواضحة المصطلحات، تتحلى بالأمانة العلمية لجهود الآخرين، كما

ينبغي أن تكون مرنة تربويا أكثر منها علميا، فالعملية التربوية تسبق العملية العلمية .

- تعتمد على الدراسات الميدانية، وتبتعد عن الفلسفة التعليمية، ترصد الظواهر السلبية للمنظومة التعليمية في الوطن العربي، التي نقرأ عنها يوميا في الصحف من مثل (اعتصام المعلمين نتيجة إطالة اليوم الدراسي، إضراب المعلمين عن العمل نتيجة ضعف الرواتب وقلة الحوافز وانعدام الكادر الوظيفي، ضرب المعلمات لتلاميذ الصفوف الابتدائية ...) .

واقع اللغة العربية ومدى تأثرها باللهجات والعاميات

مدخل :

تباينت الآراء حول وضع اللغة العربية في وقتنا الراهن بين متفائل ومتشائم وبينَ بينَ، ولا أظن أن هناك إجابة منصفة تشخّص الوضع الحالي للغة العربية؛ فكل الإجابات لا تعدو كونها وجهات نظر ووجهات النظر ليس من الضرورة الأخذ بها كاملة أو كليّة ولكن يجب أن تحترم وتقدّر وتوضع في الحسبان؛ فنحن لا نلزم أحدا بها، كما قلنا في بداية حديثنا بأن الآراء قد تتباين من شخص لآخر وما يراه البعض بتدني مستوى اللغة العربية في الوقت الحالي، قد لا أراه أنا؛ فأنا أرى أن اللغة العربية تعيش في أزهى عصورها، ومن يزعم أن اللغة العربية أوشكت على الاندثار؛ فهذا زعم لا صحة له على الإطلاق وهو مردود على صاحبه. وسوف أدلل على ذلك بالآتي:

أولا : نحن – ولله الحمد – لدينا أكثر من مجمع لغوي، كما أن هناك أكثر من معهد للمخطوطات ومراكز للترجمة والتعريب[1]، ناهيك عن هذا الكم الكبير من التأليف في شتى أقسام العلوم الإنسانية والعلوم العلمية، وللغويات

مكانة كبيرة في هذا الميدان، أضف إلى ذلك توفر المكتبات المركزية والوطنية وانتشار المكتبات التجارية التي تزخر بالكتب لا أقول كلها قيّمة؛ فلا شك هناك السمين وهناك الغث ولكن مجملا السمين يطغى على الغث، كما لعبت الملتقيات والندوات الدولية والوطنية دورا بارزا في تنشيط اللغة العربية بين الفينة والأخرى.

ثانيا : إن جمال اللغة العربية يكمن في توفيرها مساحة كبيرة للكاتب بإيجاد أكثر من كلمة وأكثر من تعبير وأكثر من مصطلح، ما يعني أن اللغة العربية مترادفاتها كثيرة وزواياها منفرجة؛ فهي لغة مباشرة طرية طيعة سهلة وهي لغة موحية، وليست كاللغات الأخرى التي تكاد تكون زواياها قائمة وتفتقر إلى كثير من المرونة. فسيبويهِ لم يكن سيبويهِ إلا باللغة العربية، والكسائيُّ لم يكن الكسائيَّ إلا باللغة العربية؛ فاللغة العربية ليست حكرا على العرب، بل أكثر من دافع ونافح عنها من غير العرب وأكثر من تألق وأبدع بها من غير العرب.

ثالثا : للذين يزعمون بأن اللغة العربية في طريقها إلى الاندثار ! أقول لهم كيف تندثر اللغة العربية وهي لغة القرآن الكريم؟! فهل هجرنا القرآن الكريم – لا سمح الله – حتى نهجر اللغة العربية ؟ ومن منظور الحديث الشريف (اختلاف أمتي رحمة)، نجد الاختلاف في الآراء أو الاستعمالات يتيح للغة العربية التوسع والتشعب وعدم تموقعها في ثالثة الأثافي.؛ لذا عندما نجد بعض الاختلافات في المجامع اللغوية العربية فهذا يعني أن مدّها لم ولن ينحسر أبدا .

أمثلة على ذلك :

* هناك من يرى أن لفظة (**ملحوظة**) أصح من لفظة (**ملاحظة**)، وهذا رأي صرفي في بنية الكلمة.

* هناك من أجاز استعمال لفظة (**الرئيسية**)، والأفضل استعمال لفظة (**الرئيسة**) .

* البعض يفضل استخدام لفظة (**الآتية**) على لفظة (**التالية**) .

* بعض المجامع أجازت رسم (**الشؤون**) هكذا (**الشئون**) ورسم (**المسؤول**) هكذا (**المسئول**) ورسم (**مئة**) هكذا (**مائة**) خلافا للقاعدة.

* حتى التراكيب نالها شيء من الاختلاف في كيفية الاستعمال نجد من يستخدم (**سيما**)[2] دون (**لا**)، علما بأن علماء النحو اعتبروا من يحذف (**لا**) من المولدين، وثعلب أحد علماء الطبقة الرابعة للمدرسة اللغوية الكوفية رفض حتى حذف الواو واعتبرها تركيبا واحدا (**ولاسيما**)، على أننا لا ننظر إلى هذا الاختلاف من منظور ضيق ونعتبره سلبيا؛ بل على العكس تماما ؛ فسيبويه زعيم الطبقة السادسة في المدرسة البصرية النحوية قد اختلف مع زعيم الطبقة الثانية للمدرسة الكوفية النحوية وأحد القراء السبعة للقرآن الكريم وهو الكسائي، اختلف معه في الرفع والنصب عندما قال (كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور، فإذا هو هي أو فإذا هو إياها)[3]؛ فسيبويه يصرّ على أن النطق السليم فإذا هو هي بالرفع، والكسائي اعتنق المرونة وقال العرب ترفع وتنصب، أي أن هناك من القبائل العربية من يرفع (فإذا هو هي) وهناك من القبائل العربية من ينصب (فإذا هو إياها) وهذا الاختلاف في اللهجات من مكونات اللغة العربية الأم، ويصب بلا شك في ثرائها.

* في الجزائر وتونس وليبيا يستعملون لفظة (**غدوة**) وهي منحوتة من (**غداة**)[4] ظرف زمان منصوب، ولا أظنها مستخدمة في بعض الدول العربية، ونحن في الكويت نقول (باچر) أي باكر بقلب االكاف جيم، وفي مصر يقولون (بكرة) من الإبكار.

* في تونس وليبيا تستخدم لفظة (**توا**)[5] وهي حال منصوبة وقد لا تستخدم في بعض الأقطار العربية. نحن نقول في الكويت (تو الناس) و (توك جاي) أو (توك ياي) بقلب الجيم ياء وهي في لغة بني تميم.

* (**متربص**) يشيع استعمال لفظة متربص في العالم المغاربي للذي يلتحق بدور تدريبية، تستعمل بشكل واسع في تونس والجزائر بحكم إقامتي في الأولى وترددي على الثانية؛ فشرعت أبحث عن المعنى اللغوي لهذه الكلمة – لاسيما – أنها جاءت في القرآن بمعنيين فقد جاءت بمعنى الانتظار في قاله تعالى:" للذين يؤلون نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم"[6] وفي قوله تعالى:" والمطلقات يتربصن بأنفسهن "[7]، أي يحملن أنفسهن على الصبر والانتظار[8]، وجاءت بمعنى الانتظار مع إضمار الشر في قوله تعالى:" الذين يتربصون بكم "[9]، أي ينتظرون بكم الدوائر والفرص للانتقام[10] ،ولعل استعمالها في العالم المغاربي على المعنى الأول في القرآن الكريم، فيتربص تطلق على من يتدرب أو يتكون والمتربص أو المتكون لا شك أنه يترقب شهادة تتيح له العمل بها. ما لحظته في استعمالات علماء تلمسان الأوائل فقد جاء في كتاب البستان لابن مريم في ترجمة سيدي محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبدالرحمان القرشي التلمساني الشهير بالمقري:" .. قال لنا ما أراده، فكتبناه وجعلنا ندبر حيلة، وصار الشيخ ينظر في الهواء، فسبقنا

بفضل ذهنه، فقال: تقولون أو نقول؟ فسألناه **التربص** علينا "[11]، أي الانتظار والتمهل. وجاء في المصباح:" ربص (تربصت الأمر تربصا انتظرته، وتربصت الأمر بفلان توقعت نزوله"[12].

* ومنذ عهد قريب كنت في زيارة وديّة لمعالي الأستاذ الدكتور محمد العربي ولد خليفة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر[13] وكعادتنا تجاذبنا أطراف الحديث عن اللغة العربية التي كانت دائما وأبدا محل اهتمامه فلفت نظري إلى كلمة (**بالزاف**) التي تستخدم في الجزائر وأيضا في المغرب وتعني كثيرا، وقال إنها جاءت من الكلمة العربية الفصيحة (**جزاف**)، ونحن في الكويت نقول (وايد) ولعلها مأخوذة من (واجد) وقلبت الجيم ياء وهذا القلب موجود في لغة بني تميم. وعادة كلمة جزاف تصاحب التهم؛ فنقول " لا ترم التهم جزافا " وأظن أن جزافا أي بلا دليل وما دامت بلا دليل فطبيعي جدا تكثر التهم.

* كما الاستعمالات في بعض الدول لم تقتصر على حفظ مفردات اللغة بل حفظت لنا بعض المعاني، ففي تونس نجد كلمة (**مأوى**) تطلق على موقف أو مواقف السيارات، والمأوى يختص بالكائن الحي حماية وكسوة وشربا ومأكلا، ولعل الاستعمال التونسي حفظ لنا المعنى الأول من معانيها وهو (الحماية)، فمأوى السيارات يعني حمايتها، وهذا الترتيب في المعنى أجده مناسبا ، فالإنسان يطلب الحماية أولا وقبل كل شيء لا بد من توفير الأمن والأمان، وتحضرني قراءة في كتاب البستان لابن مريم ، فقد جاء في ترجمة سيدي إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنبي المطماطي، قال: دخلت مكة وطفت بالبيت ذكر قوله تعالى " ومن دخله كان آمنا "[14]، فقلت في نفسي

تعارضت الأقوال واختلفت المذاهب في معنى الآمن فصرت أكرر وأقول آمنا آمنا آمنا مماذا؛ فسمعت هاتفا خلف ظهري يصوت آمنا من النار يا إبراهيم ثلاث مرات أو مرتين "[15].

* وفي تونس أيضا يطلقون على الشارع (**نهج**)، والنهج هو الطريقة المتبعة، وكانت تطلق على طريقة العلماء ومدارسهم الفكرية، ولعل تونس حفظت لنا أيضا معنى الإتباع في هذا الاستعمال .

* وفي مصر يقول (**إيه دا**) بمعنى: ما هذا ؟ بصيغة السؤال، و (دا) هي اسم الإشار (هذا)، ومعروف لدينا أن الهاء ليست من اسم الإشارة إنما هي حرف للتنبيه مبني على الفتح لا محل لها من الإعراب، واسم الإشار هو (ذا)، وقلبت الذال إلى دال، وفي الجزائر البعض يقول (هكدا) أي (هكذا) وفي السعودية يقولون (داحين) أي (ذا الحين)، وهذا وارد في القرآن الكريم في قوله تعالى:" وادكر بعد أمة "[16]، أي تذكر بعد فترة من الزمن، وأيضا في قوله تعالى:" فهل من مدكر"[17]، أي فهل من متعظ متذكر.

* وفي الجزائر يقولون (**هيـّا**)، ونحن في الكويت لا نستعمل (هيّا) غير أنا درسنا ذلك في الكتب المدرسية على أنها لفظة عربية فصيحة، وجاء" عن عمرو بن الشّريد عن أبيه قال: ردِفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال: هل معك من شعر أميّة بن أبي الصلت شيء ؟ قلت: نعم. قال: هيّه؛ فأنشدته بيتا. فقال: هيّه؛ ثم أنشدته بيتا. فقال: هيّه؛ حتى أنشدته مئة بيت"[18]

وقس على ذلك الكثير وهذا ما اردده دائما وأبدا بأن اللهجات حافظت لنا على كثير من مفردات اللغة العربية إذن الاختلاف قد يثري اللغة العربية، لذا يجب أن ننظر إليه من منظور إيجابي .

رأي المختصّين

ترى الأستاذة جميلة راجا[19] أن : " اللغة لم تكن وسيلة للتفاهم والتواصل فحسب؛ بل كانت إلى جانب ذلك المعبر الصادق عن قيم الأمة العربية وحضارتها، والحافظ على تراثها وكيانها ، مما جعلها تسمو إلى أعلى المراتب وتخرج من محليتها الضيقة إلى عالمية واسعة، وبذلك لم تكن تعاني الإهمال والقصور من أبنائها ومن غير أبنائها ممن دخلوا في الإسلام وأرادوا فهم تعاليمه. وبقيت العربية الفصحى تعيش على هذه الحال لعهد طويل إلى أن وجدت نفسها اليوم أمام تحديات وعوامل جديدة تحاول طمسها والنيل منها أو بالأحرى محو أي أثر لها في حياة الناطقين بها وغيرهم ممن ينضوون تحت إمرة الإسلام. وبذلك أصبحت لغة غريبة في أوطانها ومضطهدة في ديارها، حين أخذ أهلها بديلا وهو العاميات واللغات الأجنبية كالفرنسية والإنجليزية " .

لقد ارتكز قلق الأستاذة جميلة راجا على أمرين اثنين؛ الأول : الخوف على اللغة العربية الفصحى من العاميات المتداولة – قد يلتبس على البعض فلا يفرق بين العامية واللهجة؛ فالعامية لغة فصيحة ولكنها ليست الأفصح؛ وهذا ما يجعلني أستشهد بكلام جميل للأستاذ عبد اللطيف أحمد الشويرف[20]

حيث يقول: " كل كاتب يحرص على أن يكون أسلوبه على أعلى درجة ممكنة من الحسن والبلاغة والسلاسة والجاذبية، فهو لذلك يتخير من الألفاظ أفصحها، ومن الصيغ أبلغها ومن الصور أجملها، ومن طرق الصناعة أسرعها نفاذا إلى القلوب وأقربها وصولا إلى المعقول، ولا يرضى بالحد الأدنى من الصحة والقدر المتواضع من القبول. فأنا لا أُخطّئُ – مثلا – من يقول: " أساتذة وطلبة الجامعة متعاونون"، لأن مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد أجاز هذا العبير وصحّحه، ولكني لا أستعمله، ولا أنصح باستعماله، و لا أعدل عن التركيب الفصيح وهو أن يقال: " أساتذة الجامعة وطلابها متعاونون ". و لا أُخطئُ من يقول " كلا الرجليْن مدرسان "، لأن علماء النحو الثقات قالوا بجواز ذلك، ولكني لا أحيد عن الوجه الأفصح و الأكثر، وهو أن يقال: " كلا الرجليْن مدرسٌ ". ولا أُخطّئُ " الغير " بالألف واللام بعد أن أجازها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ومنحها شهادة الصحة، ولكن في نفسي منها شيئا يصدني عنها، فأنا لا أطيق ولا يطاوعني قلمي على رسمها. ولا أُخطئُ من يقول: " هذا الثوب أبيض من ذاك " حيث أجاز هذا التعبير مجمع القاهرة اللغوي مستندا إلى رأي الكوفيين، ولكني لا أتجاوز الأسلوب الأفصح والأشهر وهو أن يقال: " هذا الثوب أحسن بياضا من ذاك ". وهكذا يكون شأننا في التعبير والكتابة كشأن الطالب النجيب المجتهد: لا يكتفي في النجاح بدرجة " مقبول "، وتتطلع همّته إلى أن يكون نجاحه بدرجة " ممتاز " أو " جيد جدا "، أما اللهجة فتلك الكلمات المنحوتة، وتلك الجملة المطعمة بلغات أخرى غير عربية، ولكنها مع الوقت عربت، وبعضها أسند إلى الضمائر العربية – ومن ناحية أخرى لعلنا لا نوافق الأستاذة جميلة راجا في التركيز على اللغة القديمة، فنحن لا نريد أن نخاطب الطالب بلغة خشبية قديمة تعلو إدراك الطالب.

أما الأمر الآخر الذي انتاب الأستاذة جميلة بالقلق هو الخوف على اللغة العربية من استخدام اللغة الإنجليزية باعتبارها من أولى اللغات الحية لا سيما في المشرق العربي، واللغة الفرنسية باعتبارها سائدة في المغرب العربي الكبير، أما الحديث عن تأثر العربية الفصحى بالعاميات فسوف يأتي الحديث عنه، ولكن دعونا نسمع رأي **الدكتور علي فهمي خشيم**[21] حول مدى تأثر اللغة العربية باللغات الأجنبية حيث يقول : " شخصيا أرى أن اللغة العربية اليوم أفضل من أوائل القرن 19 ، فمثلا المجتمع التونسي كان يتكلم 80 % منه الفرنسية وفي ليبيا كانت كل جملة تحمل كلمة إيطالية لكن اليوم الأمور تغيرت واللغة العربية بدأت تستعيد مجدها وسلطتها؛ فالصورة التي تعطى على العربية غير صحيحة. وإن تحدثنا اليوم على غزو اللغة الإنجليزية فهذا الأمر طبيعي جدا فمن قبل طغت الإيطالية وإن عدنا إلى الوراء نجد طغيان اليونانية ثم جاءت العربية وهي اللغة السائدة واللغة هنا تتبع قوة أهلها. أنا أقول إن اللغة العربية بخير، وما يهمنا ليست الندوات وإنما لغة الناس.. التلفزة والإذاعة والصحافة والشارع واللافتات كلها مجالات لا بد أن نركز عليها " .

هذا رأي الدكتور علي فهمي خشيم لعله كان متفائلا كثيرا وأنا معه في هذا التفاؤل، ولكن لا يعني هذا أن نركن على هذا التفاؤل ونترك اللغات تغزو لغتنا متذرعين بقوتها ومجدها التليد؛ إذ لا بد أن نتعامل مع الواقع بموضوعية، وقد وجدت هذه الموضوعية عند **الدكتور صالح بلعيد**[22] حيث يقول : " يجب أن ندرك بأن أمام اللغة العربية تحديات وصراعات قاسية تقتضي منها قبول بعض التعديل؛ فلا مناص من مدارسنا ومجامعنا من مجارة الوضع العولمي المعاصر؛ فكل يوضع أمام مسؤوليته للقيام بالدور المنوط به، للوصول إلى بناء أو تطوير لغة عربية فصيحة ومعاصرة للتعليم والتواصل الإعلامي

والثقافي المنطوق، تهم في تطوير الفكر في حاضره دون أن تفصله عن ماضيه وتراثه".

لذا ينبغي الاعتماد على اللغة الوسيطة سريعة الفهم، وذلك من خلال تناول نصوص ومقالات حديثة واستخدام طريقة تدريس تتواءم وظروف المنطقة التي تشكل خشبة مسرح سياسي واقتصادي ؛ فنحن بحاجة إلى طالب متكلم مبدع، يفهم ما يحفظ ، لا نريده يردد ما يقوله الأستاذ ويلقنه في الفصل .

ولم يبتعد كثيرا **الدكتور محمود السيد**[23] عن ذلك حيث يقول : " للغة العربية أبعاد متعددة فهي ذات بعد ديني لأنها لغة القرآن الكريم وبعد قومي لأنها الموحدة بين أبناء الأمة، وبعد حضاري لإسهامها في بناء الحضارات، وبعد أبداعي إذ أن أبناء اللغة يبدعون بها ويتمثلون المعارف ويدركونها أكثر ما يتمثلون المعارف باللغات الأخرى ... لكن اليوم هذه اللغة أصبحت في مواجهة مع عصر العولمة . إذ أن لغة الأقوياء تهيمن على نطاق الساحة الدولية وهي اللغة الإنجليزية التي تروم محو الذاتيات الثقافية للشعوب والمجتمعات الأمر الذي يؤدي إلى طمس الهويات، إذ لا هوية دون لغة. ومن هنا كان لزاما علينا أن نبحث عن الأسباب المؤدية إلى تدني مستوى اللغة العربية في العملية التعليمية ووضع خطة لمعالجة هذه التحديات ".

في رأي الشخصي المعالجة تكون بالاعتماد على دراسات تربوية حديثة ومعاصرة تتجه نحو الاعتماد بل والتركيز على الكيف، وإعمال عقل الطالب، وانتقاء موضوعات حيوية تفعل دور الطالب في الصف، وتبتعد كل البعد عن الكم، وتكديس المواد والموضوعات على الطالب. كي يتسنى للطالب الإبداع والابتكار ، وأيضا لإتاحة الفرصة أمام المعلم لمزيد من البذل والعطاء في

عـرض مادتــه الدراسـية، وطـرح أفكـاره التربويــة. آن الأوان أن نـتخلص مـن البحـوث والدراسـات النظريـة التـي لا تغنـي ولا تسـمن مـن جـوع، آن الأوان أن نبتعد عن (القص واللصق)، والاقتباس من الإنترنت، آن الأوان أن نتخلص من التكرار والدراسات القديمة العديمة الفائدة.

أما بالنسبة إلى العملية التعليمية التي أشار إليها الدكتور محمود السيد، فالحديث عن العملية التعليمية يطول ويطول، وسوف يجرنا إلى آليات وتقنيات ووسائل والأهم من هذا كله هو " محور العملية التعليمية " ألا وهو (المعلم)[24] وقبل أن نتناول دور المعلم ، لنسمع رأي **الدكتور عز الدين البوشيخي**[25] في العملية التعليمية حيث يقول : " سنقف عند مظاهر تعليم اللغة العربية في مرحلة التعليم الابتدائي ومرحلة الثانوي ومرحلة التعليم الجامعي؛ لنبين مدى الحاجة إلى ضرورة استثمار اللسانيات في مجال تعليم اللغة العربية خاصة. في مرحلة التعليم الابتدائي يلاحظ أن الطفل يعلم اللغة العربية دون أن تخصص لها الوسائل التعليمية ولا المناهج والتقنيات التي يتم تخصصها لتعليم اللغة الفرنسية بوصفها اللغة الأجنبية الأولى، واللغة الإنجليزية بوصفها اللغة الأجنبية الثانية في المغرب ".

وبعد أن استعرض عدة نماذج رصدها من الميدان خلص بالآتي : " إن الطفل المغربي – كأي طفل عربي – لا يستفيد من أي معجم لغوي عربي[26] يناسب سنه ويتوافق مع حاجاته اللغوية مبني بطريقة تراعى فيها مستجدات البحث المعجمي، مثلما عليه الأمر في معاجم اللغة الفرنسية ومعاجم اللغة الإنجليزية، ففي الوقت الذي لا يسمع اللغة العربية الفصحى من أبويه وأقاربه، ولا يتواصل بها في محيطه، ولا يستفيد في تعلمها من مناهج وتقنيات حديثة، ولا توفر له معاجم تستجيب لمتطلبات مرحلته اللغوية، نجد الدواج واللهجات

تحيط به من كل جانب، وتقرب إليه اللغات الأجنبية بأحدث الوسائل والمناهج، ولا يمكن أن ينجم عن وضع كهذا إلا ضعف في تعلم اللغة العربية يبدأ منذ المراحل الأولى ". وهنا ينبغي الاطلاع على آخر المستجدات التربوية والاستفادة من تجارب الآخرين في بعض الدول فالعملية التربوية التعليمية لا تقتصر على تجربة الدولة، بل تجربة المختصين في المجال التربوي) .

وفي هذا الصدد يقول **الدكتور محمود كامل الناقة**[27] : " نحن اليوم نعيش في عشوائية لغوية بالرغم من توفر آلاف البحوث والدراسات العلمية التي أنتجت طرقا حديثة ومناهج جديدة في التدريس. للغة العربية جمالها وجلالتها لكن كيف يمكن أن ننفذ النتائج التي تصل إليها الدراسات من طرق ومناهج تدريس حديثة؛ بحيث يدخل المعلم فصله ولديه منظومة وليس لكل معلم منظومة خاصة به . والإرادة هنا تكمن في البشر فإذا ما أردنا أن نعيد للغتنا كيانها فالحلول متوفرة إذ ينبغي علينا أن نوظف ما نعرفه ونطبق ما هو موجود في بطون الندوات والدراسات دون ذلك سوف نبقى نردد هذا الكلام . فلا بد من إعداد معلم اللغة العربية إعدادا جيدا والقرار هنا هو قرار سياسي ، بالعصا والسكين يجب أن تعلموا لغتكم ...لا تنقصكم المعرفة وإنما القرار السياسي[28]".

إذن يجب الاعتناء بقطاع البحوث التربوية والمناهج؛ فهذا القطاع يحتاج إلى باحث أكاديمي وليس أي باحث، إنما باحث مخضرم وله عدة دراسات معاصرة وبحوث ليست مصنوعة بأيدي الغير، التي استشرت في الميادين التربوية والأكاديمية من أجل ترقية علمية ، إنما بحوث ذات شقين ، شقها الأول ميداني تجريبي ، وشقها الآخر نظري استنتاجي، كما أن تطوير المناهج ليس قائما على حذف موضوعات واستبدالها بموضوعات أخرى بذات الطريقة

المملة وذات الحشو والنقل من كتب التراث وذات المؤلفين المأجورين للتكسب والمنفعة الشخصية من خارج أسوار وزارة التربية. إذن لابد من استقطاب الباحثين والمفكرين المبدعين، واحتضان دراساتهم والاهتمام ببحوثهم، والإسهام في إبراز إبداعاتهم .

كما أن الأمر المهم الذي أشار إليه الدكتور محمود الناقة ، هو إعداد معلم اللغة العربية فلنسمع رأي **الدكتور أمين بدر علي الكخن**[29] حيث يقول: " كثير من المدارس[30] العربية تعتمد النظرية السلوكية في التدريس ومن مرتكزات هذه النظرية أن المعلم هو محور العملية التعليمية ومصدر المعرفة وأن الطالب متلق للمعرفة، فهذه المدارس تستخدم الوسائل والأساليب القديمة في التدريس. ومن أسباب ضعف مناهج التعليم في بعض المدارس أيضا النقص في كفاءات معلمي اللغة العربية غير المتمكنين من تخصصهم وضعف مؤهلاتهم التربوية وفقدانهم للمهارات التكنولوجية ، واعتماد هذه المدارس على اختبارات التحصيل (القلم والورقة) أي التركيز على تحصيل المعرفة والمناهج غير أننا في الأردن نحاول اليوم أن نوجه التعليم نحو الاقتصاد المعرفي وعلى استخدام استراتيجيات الوصف الذهني والاستقصاء " .

اعتبر الدكتور علي الكخن أن المعلم هو محور العملية التربوية، ونحن نتفق معه جملة وتفصيلا، وأشار إلى أمرين أيضا ؛ الأول : توجيه التعليم نحو الاقتصاد المعرفي واستخدام استراتيجيات الوصف الذهني والاستقصاء ، ولعل المهم في هذين الأمرين هو الأول وهو توجيه التعليم نحو الاقتصاد المعرفي من خلال الاعتماد على التكنولوجيا الحديثة والوصول إلى المعلومة بأسرع الطرق وبأسهل الوسائل.

مراعاة وضع المجتمعات العربية فقد ركبت صهوة الحضارة، وانصهرت في بوتقة المدنية بسرعة متناهية انعكست على لغته اليومية؛ فأصبحت لغة ذات إيقاع سريع (وهذا ما يختلط على بعض المعلمين ؛ فيعتقدون أن الطالب متقاعس عن واجباته الدراسية وثقيل الفهم، علما بأن الطالب اليوم قد اقتحم مجال الإنترنت والأجهزة النقالة الحديثة والكمبيوتر وبرامجه المتجددة يوميا؛ فأصبح سريع الفهم قد يجد في طرح المعلم لمادته الروتينية شيئا من الملل؛ فلا يستطيع هضمها .

وتحمّل **الأستاذة جميلة راجا** معلم اللغة العربية تبعات العملية التعليمية ومخرجاتها حيث تقول : " المدرس الذي يتهاون في حق اللغة التي يعلمها سيؤثر تأثيرا جسيما في إفقاد تلك اللغة قيمتها العلمية لدى المتعلمين؛ وبالتالي تصبح العامية هي أداة تعبيرهم وتواصلهم مع الغير، وهنا يصلح ذكر المثل المشهور " العلم في الصغر كالنقش في الحجر " ؛ فبعد أن يتعلم التلميذ اللهجة العامية في صغره ويتعود على سماعها والتحدث بها؛ فلا داعي للبحث عن سبل تعليمية العربية الفصحى، لأنه " إذا كانت العامية تأخذ على المدرس وعلى الطالب منافذ الطريق ويكون الحوار والكلام بها ؛ فإن من غير الممكن أن تولد معجزة تجعل هؤلاء الأطفال بعد إكمال التعليم العام أو حتى بعد التخرج من الجامعة ومن أقسام اللغة العربية يقلعون عما عهدوه في كل سنين دراستهم وتلقوه في مناهج تعليمهم " ؛ فالطالب عند تخرجه تجده عاجزا عجزا كبيرا عن كتابة خطاب بسيط بلغة عربية فصيحة وسليمة. وأضف إلى أنه من المؤلم حقا أن ترى بعض الأساتذة في بعض الأقسام الجامعية – والمعاهد المتخصصة لا يخاطبون طلبتهم ولا يناقشون الرسائل العلمية إلا بالعامية وهذا لا محالة سيؤثر تأثيرا كبيرا في إضعاف المستوى اللغوي للطلبة " .

والأستاذ فارس طباش[31] يشير إلى النشأة والبيئة التي تؤثر في الفرد منذ ولادته ؛ فيقول : " إن كل من العامية والفصحى توظف في مجالات مختلفة إذ يجد الفرد بأنه يتعامل منذ ولادته مع عامية تتميز ككل العاميات العربية باختلافاتها اللهجية الكثيرة حيث نجد (لهجة الشرق – بهجة الجنوب – لهجة الشمال ..) وهي التي يتعامل بها الفرد في بيته وداخل المنزل والشارع في البداية، قبل بلوغ سن التمدرس. وذلك لمدة ست سنوات لدى الغالبية ، فعند دخوله المدرسة يتعامل مع مستوى آخر يتمثل في الفصحى التي توظف كلغة أساسية في الأطوار الأساسية تستبدل في الجامعات بلغات أخرى سيما في بعض التخصصات ".

نستنتج مما فات أن العملية التعليمية للغة العربية تعتمد على عدة أمور منها :

1- **الفهم الشامل** : تفعيل الصف وجدانيا، بحيث يشكل المعلم مجموعات متعددة صغيرة؛ وعلى رأس كل مجموعة من الطلاب الضعاف أحد الطلاب الفائقين يقودها ويبث فيها روح الحماسة والمناقشة، وعلى المعلم أن يقوم بتغيير وضع مقاعد الجلوس من باب كسر التقليد؛ كي لا يشعر الطالب بالملل .

2- **الثروة اللغوية** : هذه الحصة يجب أن تعطى في مكتبة المدرسة، ليطلع الطالب على المعاجم العربية؛ وتبدأ المجموعات باستخراج معاني المفردات وتوظيفها في جمل مفيدة، ويطلع عليها معلم المادة ليفاضل بينها من حيث السبك والصياغة وسياقها في الجملة.

3- **التـذوق الفنـي** : لا يمكـن إذكـاء هـذا الجانـب الحسـاس جـدا لـدى الطالب ما لم يقرأ القصص الأدبية؛ لذا أوصي بقصة ملازمة لكل مرحلة تقرر على الطلاب بمتابعة معلم المادة .

4- **السـلامة اللغويـة** : وهـي من الأمور التـي نعاني منها بسبب طريقة تدريسها التقليدية التي تعتمد على القواعد الجافة؛ لذا أرى أن نعتمد على " نحو النص " أو ما يسمى بـ " النحو الوظيفي " من خلال تفعيل النص المتناول لدى قراءة الطالب له، ومعالجة بعض القضايا النحوية والصرفية.

5- **الوقفـة العلاجيـة** : طريقة صائبة جدا إذا أجيد تناولها؛ لذا أرى أن يكون هناك نص يختاره المعلم ويوزعه على الطلاب من بداية الدراسة، ويبدأ في كل الحصة معالجة هذا النص بالتدرج، وبمتابعة الطلاب، على ألا يزيد وقت المعالجة أكثر من عشر دقائق، وتقوم المعالجة على طريقة الإعراب الحرفي الدقيق لجميع الطلبة، وعلى المعلم أن يترك للطالب استنباط القاعدة بإعمال عقله وتفكيره.

6- **التلخـيص** : من المهارات المفيدة، أرى إن كان الموضوع المتناول موضعا نثريا؛ فيجب تكليف الطلاب بتلخيصه، وإن كان نصا شعريا؛ فيجب على الطلاب نثره أدبيا.

7- **التعبيـر** : وهو من المهارات الكتابية التي تحتاجها المنطقة العربية بحكم الظروف المحيطة بها، وهذه المهارات تحتاج إلى طالب يقرأ ويطلع، ويكوّن ثروة لغوية تسعفه وقت الكتابة؛ لذا أرى أن يقوم المعلم بتخصيص كراس صغير خاص للتعبير، يحاور فيه الطالب على طريقة المساجلة الكلامية في نقد الموضوع المتناول، كما أتمنى أن نبتعد عن الموضوعات المستهلكة، وألا نستخف بعقول طلابنا، بل يجب أن تحترم هذه العقول من خلال الطرح

المناسب، إذن يجب على المعلم أن يختار للطالب موضوعات تتوافق مع الوضع المعاش .

8- **المكتبة المدرسية :** لا بد من تفعيل دور المكتبة المدرسية، فهي عصب الحياة العلمية، والتفعيل يكون بإقامة حلقات نقاشية لأحد الدروس المقررة، والتجانس بين الأقسام العلمية في هذه الدروس، كما أن المكتبة هي النواة الحقيقية للطلاب الفائقين، فمن خلالها يتم إنشاء مجلات علمية ونشرات أدبية لتنمية مهارات الطلاب.

أما الأستاذ أحمد الحسين حسن[32] فيقول : " اللغة العربية تتأثر بما يجري في المجتمع من تطورات اقتصادية واجتماعية وهو ما ساهم بشكل كبير في تراجع مستوى التعليم في الآونة الأخيرة حتى أن القيمة المهنية التي كانت تحظى بها من قبل تراجعت؛ وهذا الأمر انسحب على الطالب الذي أصبح ينفر من التوجه إلى دراسة اللغة العربية؛ إلا إذا ما أوصدت الأبواب في وجهه فالطالب المتفوق لا يدرس اللغة العربية وللأسف هذا ما فرضه سوق الشغل اليوم؛ فالإدارة العربية اليوم أصبحت تشترط اللغة الإنجليزية من أجل فتح أبواب الشغل، علينا أن نتوقف عند هذه الأخطار المحدقة بلغتنا ونجد لها حلا خاصة وأن العربية اليوم أصبحت تعاني من الازدواجية، كذلك مشكلة النطق واللفظ ويعود ذلك إلى عدم تلقيه تعليما جيدا؛ فلا بد من توفير قواميس نطق لفظي. إلا أن هذه المشكلات التي تعاني منها اللغة العربية لن تحطّ من قيمتها فهي لغة البيان والحضارة وأنا ضد من يدعي عجزها .

نستطيع أن نستنتج من هذا الحديث الأمور الآتية :

1- إفساح المجال للدماء الشابة، كي تتمّم ما انتهى إليه الآخرون (بعض التربويين ليس لديهم شيء – ولو كان يسيرا – ليقدموه للتعليم، لقد أضحت قدراتهم وإمكاناتهم ضحلة – إن لم تكن معدومة – ولا تتواءم مع ما نحن عليه من تقدم حضاري سريع، ولا توفي سوق العمل وفقا للمدنية التي نعيشها، فهذه سنة الكون لا مجال للمكابرة؛ فلم يعد للخبرة معنى في خضم المتغيرات اليومية، كما أن الأنظمة التربوية التي يتشبث بها هؤلاء أبيدت منذ زمن، ولم تعد مجدية اليوم) .

2- احتواء كل سنة صفوة الصفوة من الفائقين في جميع المدارس العربية يقدمونهم للمنظمات العربية المتخصصة للاعتناء بهم وتعليمهم في أرقى الدول بالتخصصات النادرة ليصبحوا بعد ذلك علماء هذه الأمة .

3- منح الإجازة السنوية؛ بما أن التعليم عملية شاقة ينهك فيها المعلم وتسلبه صحته يجب أن يعطى إجازة آخر السنة مجزية لمدة ثلاثة شهور تبدأ من 1 / 6 وتنتهي 13 / 8 ، لتجديد نشاطه وتحفيزه وترغيبه في المهنة .

4- عدم تضييق الخناق على من يتقدم لهذه المهنة ، لذا يجب اتخاذ العقلانية والعدالة والبعد عن الأهواء الشخصية والتوصيات الرخيصة لإقصاء المعلم حسب إيدلوجيات ومذاهب وتيارات ، أو بحسب طبقية وفئوية .

5- احترام آدمية الطالب (ظاهرة حمل العصا التي استشرت في المدارس وأصبح منظرها مقززا بيد المعلم وهو يركض وراء الطلاب هنا وهناك؛ دونما احترام لآدمية الطالب، الابتعاد عن الألفاظ البذيئة والجارحة للسمع والحياء التي لا يسمعها الطالب إلا في المدرسة وعلى لسان بعض المعلمين

الذين نتوسم بهم خير معلم ومؤدب، الابتعاد عن لهجة الوعيد والتهديد وكأننا أسرى نظام قمعي) .

6- النأي بالمؤسسة التربوي (المدرسة) عن الوصاية الحزبية التي يمارسها بعض مدراء المدارس؛ فأكثر المدارس مسيّسة ومجيرة حزبيا وطائفيا من مدراء المدارس ليزجوا بالطالب في متاهات الانتخابات الجامعية وهو مسلوب الإرادة .

7- الابتعاد عن الطرق التقليدية في التعليم؛ فهناك من المعلمين يقوم بحشو السبورة مرتين وثلاث مرات في الحصة الواحدة دونما أن يشرح كلمة واحدة، أو يفعل الصف بالمشاركة الوجدانية.

8- يجب على المعلم أن يثقف نفسه، لأنه أمام طالب مطلع، وإن لم يكن متعلما، كما يجب ترك مساحة من الحرية وإبداء الرأي للطالب وعدم الاستخفاف بمعلوماته أو تفكيره.

تأثير لغة الصحافة والإعلام على اللغة العربية الفصحى

نبدأ مع **الأستاذة نصيرة زيد المال**[33] حيث تقول : " لقد اعتبر الباحثون في العصر الحديث أن لغة الصحافة ساهمت بشكل كبير في تطوير اللغة العربية والارتقاء بها للتعبير عن الأغراض اليومية والحضارية للإنسان العربي؛ بل استطاعت أن تتخطى حواجز الزمان والمكان التي وضعها فقهاء العربية القدامى، وذلك بوضع العديد من المفردات والمصطلحات " .

ويثني على هذا الكلام **الدكتور صالح بلعيد** قائلا : " لغة الصحافة في عمومها هي فصحى العوام والدهماء من الناس؛ وهي في زماننا أقرب إلى لغة

التخاطب، لغة المجتمع والاتصال اليومي .. ويُعرف عن لغة الصحافة أن لها خرجات عن المألوف يعني خرجات عن الفروع، وليس عن الأصول؛ فلا يعني أن الصحافة تهدم ما تبنيه المدرسة بقدر ما هي تتسامح في بعض الفروع وهي في الحقيقة تنشد المستوى الفصيح " [34] .

هذا فيما يخص لغة الصحافة ومدى تأثيرها على العربية الفصحى، أما فيما يخص لغة الإعلام ومدى تأثيرها على العربية الفصحى؛ فترى **الأستاذة نصيرة زيد المال** أن التطور الحضاري " أدى إلى ظهور لغة من نوع جديد غير اللغة الأدبية بمستواها التذوقي الجمالي، وغير لغة العلم، فوقع تداخل بين اللغتين الفصيحة والعامية، تولدت عنه لغة ثالثة هجينة .. التي صارت لغة الإعلام المعتمدة : وهي منزلة بين المنزلتين؛ فلا هي اللغة الفصيحة في قواعدها ومقاييسها وأبنيتها وأصولها، ولا هي لغة عامية لا تلتزم قيودا ولا تخضع لقياس ولا تسري عليها أحكام "[35]

وتحمل **الأستاذة جميلة راجا** الإعلام تدهور اللغة العربية قائلة : " وعلى هذا تكون الوسائل الإعلامية قد تحملت قسطا كبيرا في تدهور وضع العربية الفصحى؛ فهي بصفة عامة " لم تعمل على التطور اللغوي المفيد لما لها من تأثير على الجمهور، فراحت تدعو أو توظف العاميات بلا خجل، وفتحت المجال أمام الحصص الترفيهية؛ فهل تساءلنا عن نسبة المسلسلات العامية من الفصيحة، ونسبة الحصص الثقافية المُذاعة بالفصحى ، ونسبة الحديث بالدراجة عن الحديث بالفصحى في الأخبار واللقاءات العلمية والحصص الترفيهية"؛ فالأمر الواضح هنا هو أن العامية تحتل المكانة الأولى عند تقديم البرامج سواء في الإذاعة أم في التلفاز ، وتستأثر بأطول الأوقات " [36]

الخاتمة

طرق علاج للمحافظة على اللغة العربية الفصحى لدى المختصين

نبدأ **بالدكتور علي فهمي خشيم** حيث يقول : " إذا أردنا فعلا أن نحافظ على اللغة مستوى اللغة العربية لا بد من الضغط الشديد والتعليمات القوية وسياسة الدولة العنيفة لتحد من هذا الزحف العنيف للهجات. لأن صراع اللهجات هو أخطر ما يهاجم اللغة العربية وهو ما يجب أن نعلّمه لأولادنا هذا إلى جانب التركيز على اللغة العربية المبسطة التي يفهمها الجميع بعيدا عن التعقيدات اللغوية " .

الدكتور أمين بدر علي الكخن : " أما من ناحية وسائل الإعلام فما زالت برامج التلفزات الموجهة للأطفال في بعض الدول العربية لا تستخدم اللغة العربية الفصحى هذا إلى جانب الإعلانات التي تكثر فيها الأخطاء اللغوية وتركز على اللغات الأجنبية ".

الدكتور محمود السيد : " إذا عرفنا المسببات أمكن بكل سهولة أن نجد الحلول لتجاوز العوائق وعلى سبيل المثال لا بد من تبني مناهج وأسس علمية مدروسة و أن تكون المادة الإعلامية متسمة بالحيوية إلى جانب خلق طرق تفاعل ومشاركة. ومن أهم الحلول تنقية البيئة الملوثة إعلاميا، وبالتالي إذا ما وقفنا على أصل الداء فمن البديهي أن نجد الدواء ".

وأخيرا نختم برأي **الدكتور صالح بلعيد** الذي استعرض عدة حلول منها :

1- العمل الدائم من أجل ترشيد جريان نهر الألفاظ الجديدة المستعملة في الحياة اليومية .

2- إجراء دراسات عن اللهجات المحلية وأصولها وتوظيفها في حياة الناس .

3- تحويل الخطابات التي بالعامية إلى العربية الفصحى بقدر الإمكان في الصحف .

4- إيجاد الصيغ المناسبة لتصحيح كل ضروب الاستخدامات للألفاظ العامية ذات الأصول العربية .

5- أسوة بتجارب أمم أخرى يجب تشجيع يجب تشجيع عملية إنتاج المسلسلات التي ترمي إلى تطويع اللهجات وتقريب بعضها من بعض، على أن يتم ذلك انطلاقا من مبدأ أن اللهجات واقع منحرف لا بد من تقويمه " .

المصادر :

1- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المؤلف: العلامة أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم، المحقق: الشيخ محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية ، الجزائر، 1908

2-تصحيحات لغوية، كتاب من تأليف الدكتور عبداللطيف احمد الشويرف، الدار العربية للكتاب، 1997 .

3- تعريف الخلف برجال السلف، المؤلف: الشيخ أبو القاسم محمد الحفناوي، تقديم: أ.د محمد رؤوف القاسمي الحسني، الأنيس ، سلسلة العلوم الإنسانية، 1991

4-الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وأحكام القرآن، المؤلف: الإمام أبو عبد الله القرطبي، دار الكتب العلمية – بيروت، 1413 = 1993

5-جريدة الشروق التونسية، الجمعة الموافق 12 / 6 / 2009 .

6-دور الصحافة في ترقية اللغة العربية، مداخلة للدكتور صالح بلعيد، جامعة تيزي وزو، الجزائر، يوم دراسي بعنوان " اللغة العربية في الصحافة المكتوبة " للمجلس الأعلى للغة العربية، بالجزائر 23 / 3 / 2010 .

7 - الصحافة المكتوبة ودورها في التنمية اللغوية، مداخلة للأستاذة نصيرة زيد المال، جامعة تيزي وزو، الجزائر، يوم دراسي بعنوان " اللغة العربية في الصحافة المكتوبة " للمجلس الأعلى للغة العربية، بالجزائر 23 / 3 / 2010 .

8 العامية والفصحى وإشكالية التأثير في الرسالة الإعلامية، مداخلة للأستاذ فراس طباش، جامعة الجزائر، يوم دراسي بعنوان " اللغة العربية في

الصحافة المكتوبة " للمجلس الأعلى للغة العربية، بالجزائر 23 / 3 / 2010 .

9-اللغة العربية اليوم بين العاميات واللغات الأجنبية، واقع وتحدي " للأستاذة جميلة راجا، من كتاب " العربية الراهن والمأمول، إصدار المجلس الأعلى للغة العربية، 2009 ، الجزائر الطبعة الأولى .

10- المعجم الوسيط في الإعراب ، د. نايف معروف و د. مصطفى الجوزو، دار النفائس، الطبعة الثانية .

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المؤلف: للإمام ابن هشام الأنصاري، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ، بيروت، 1991

11- مكانة التفكير المستقبلي في المناهج التعليمية في المدارس والجامعات العربية، التوجيه والتقنيات، ندوة دولية " العمل الاستشرافي العربي ، الواقع والتحديات " المنظمة

12- نحو مقاربة وظيفية تواصلية لتعليم اللغة العربية، دراسة للدكتور عز الدين البوشيخي، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب، اجتماع لجنة الخبراء والمختصين لدراسة أسباب ومسببات تدني مستوى تعليم اللغة العربية في الوطن العربي الذي احتضنته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تونس العاصمة من 10 حتى 14 يونيو 2009 .

13- هداية البيان في تفسير القرآن، راشد عبد الله الفرحان، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، (1430 هـ = 2000 م).

الهوامش :

[1] – فاز مؤخرا في بجائزة ابن خلدون سنغور وهي من أهم الجوائز التي أنشأتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في عهد معالي الأستاذ الدكتور المنجي بوسنينة، فاز التونسيان الدكتور عبدالقادر المهيري والدكتور حمادي صمود عن تعريبهما "المعجم الموسوعي الجديد في علوم اللغة " تأليف جون نارس شيفرا وأروالد دوكورو" مما يدل على أن اللغة العربية غنية في مفرداتها، حيث استطاع الباحثان التونسيان الفائزان إيجاد مفردات عربية ومصطلحات لكلمات هذا المعجم .

[2] – انظر المعجم الوسيط في الإعراب، ص 169.

[3] – انظر المسألة الزنبورية في كتاب مغني اللبيب لابن هشام ، 1 / 103 وما بعدها .

[4] – انظر المعجم الوسيط في الإعراب ص 210 . نقول " انطلق المسافرون غداةً " .

[5] – المصدر نفسه ص 107 . نقول " ذهبَ الحاجُّ إلى مكة تواً " .

[6] – سورة البقرة، آية 226 .

[7] – سورة البقرة، آية 228 .

[8] – انظر: كتاب هداية البيان في تفسير القرآن، للمفسر الكويتي الشيخ راشد عبدالله الفرحان، 1 / 95 .

[9] – سورة النساء، آية 141 .

[10] – هداية البيان 1 / 238 .

[11] – البستان ص 158، وتعريف الخلف 2 / 354 .

[12] – معجم المصباح المنير ص 82، ربص.

[13] – كان هذا في يوم الثلاثاء الموافق 28 ديسمبر 2011 .

[14] – سورة آل عمران، آية 97 .

[15] – البستان لابن مريم ص 67 .

[16] – سورة يوسف، آية 45 .

[17] – سورة القمر آية 15و17و22و32و40و51 .

[18] – انظر: كتاب " الجامع لأحكام القرآن للإمام "،(أبو عبدالله القرطبي)، تفسير سورة الشعراء الآيات:227،226،225،224– 13 / 153 وما بعدها.

[19] – الأستاذة جميلة راجا من جامعة تيزي وزو بالجزائر، دراسة بعنوان " اللغة العربية اليوم بين العاميات واللغات الأجنبية – واقع وتحدي ، من كتاب : العربية الراهن والمأمول، إصدار المجلس الأعلى للغة العربية ، 2009 ، الجزائر، الطبعة الأولى (1430 هـ – 2009) ، ص 269 .

[20] – انظر : تصحيحات لغوية للأستاذ / عبداللطيف أحمد الشويرف، الدار العربية للكتاب، 1997 .ص 18 .

[21] – الدكتور علي فهمي خشيم ، رئيس مجمع اللغة العربية (ليبيا)، تصريح له في جريدة الشروق التونسية، الجمعة 12 / 6 / 2009 ، ص 24 . أجرت المقابلة الصحافية / نجوى الحيدري .

[22] – الدكتور صالح بلعيد أستاذ في جامعة تيزي وزو بالجزائر، من مداخلة له بعنوان " دور الصحافة في ترقية اللغة العربية " ص 8 ، يوم دراسي للمجلس الأعلى للغة العربية بعنوان " اللغة العربية في الصحافة المكتوبة، الجزائر 23 / 3 / 2010 .

[23] – الدكتور محمود السيد وزير ثقافة سابق ورئيس لجنة التمكين للغة العربية (سوريا) ؛ تصريح له لجريدة الشروق التونسية الجمعة 12 / 6 / 2009 ص 24 . أجرت المقابلة الصحافية / نجوى الحيدري .

[24] – حين تضغط الإدارة المدرسية على المعلم وتتعامل معه بأسلوب التهديد والوعيد – خاصة – في مسألة الحضور والانصراف يفترض أن مثل هذه الأمور في الجانب المدرسي نسبية حيث إن الغاية من المعلم، أنه يدخل حصته ويؤدي واجبه تجاه درسه بأمانة، أما عن

كونه تأخر عن موعد العمل الرسمي وليس لديه حصص أولى – مثلا – أرى أن تكون هناك مرونة في هذا الجانب كي لا ينعكس اضطهاد المعلم على الطالب سلبا، وهذا معمول به في الجمهورية السورية الشقيقة وقد نجحت في قوة تعليمها لأنها احترمت معلميها.

[25] – الدكتور عز الدين البوشيخي من جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب، مكناس، المغرب، مداخلة بعنوان " نحو مقاربة وظيفية تواصلية لتعليم اللغة العربية، اجتماع لجنة الخبراء والمختصين لدراسة أسباب ومسببات تدني مستوى تعليم اللغة العربية في الوطن العربي الذي احتضنته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تونس العاصمة من 10 حتى 14 يونيو 2009 .

[26] – علما بأن مركز التعريب في المغرب ، وهو المعني بالمعاجم والقواميس والترجمة والتعريب .

[27] – الدكتور محمود كامل الناقة أستاذ المناهج وطرق التدريس (مصر) . انظر جريدة الشروق التونسية ، الجمعة 12 / 6 / 2009 ، ص 24 ، أجرت المقابلة الصحافية / نجوى الحيدري .

[28] – القرار السياسي الذي أشار إليه الدكتور محمود الناقة، ليس محل حديثنا؛ فلكل دولة ثقافة وطنية وثقافة قومية وثقافة عالمية أو دولية خاصة بها، والدول اتفقت على إنشاء منظمات عربية متخصصة ، ومراكز عربية متخصصة للقيام بهذا الجانب؛ فكون بعض هذه المنظمات متقاعسة أو متفاعلة هنا يأتي دور مراكز القياس وأهميتها .

[29] – الدكتور أمين بدر علي الكخن، أستاذ مناهج اللغة العربية، الأردن . انظر جريدة الشروق التونسية ، الجمعة 12 / 6 / 2009 ، ص 24 ، أجرت المقابلة الصحافية / نجوى الحيدري .

[30] – الإدارة المدرسية هي المحور الأساسي في إدارة الدفة التربوية، وهي المنسق ما بين الطلبة والأساتذة وأولياء الأمور، وعندما نطلق عليها قيادة، لا نعني بذلك أنها قيادة عسكرية؛ فمن الخطأ بمكان أن تحوّل المدرسة إلى ثكنة عسكرية – خاصة – وأننا نتعامل مع سن

حرجة للطلبة (أي لا نرهق الطالب بكثرة الممنوعات والمحرمات ومعاملته على أنه سجين)، ولكن لا نشك للحظة أن القيادة التربوية من سماتها الحزم والانضباط بالمفهوم التربوي، وليس بالمفهوم العسكري .

[31] – الأستاذ فراس طباش ، جامعة الجزائر من مداخلة له بعنوان " العامية والفصحى وإشكالية التأثير في الرسالة الإعلامية " ص 3 . يوم دراسي للمجلس الأعلى للغة العربية بعنوان " اللغة العربية في الصحافة المكتوبة، الجزائر 23 / 3 / 2010 .

[32] – الأستاذ أحمد الحسين حسن ، مشرف على إعلام رئاسة مجلس الوزراء في سوريا ، انظر جريدة الشروق التونسية ، الجمعة 12 / 6 / 2009 ، ص 24 ، أجرت المقابلة الصحافية / نجوى الحيدري .

[33] – الأستاذة نصيرة زيد المال من جامعة تيزي وزو بالجزائر من مداخلة لها بعنوان " الصحافة المكتوبة ودورها في التنمية اللغوية " يوم دراسي للمجلس الأعلى للغة العربية بعنوان " اللغة العربية في الصحافة المكتوبة، الجزائر 23 / 3 / 2010 . ص 6 .

[34] – اليوم الدراسي ص 4 و 5 .

[35] – اليوم الدراسي ص 7 .

[36] – كتاب اللغة العربية الراهن والمأمول الصادر عن المجلس الأعلى للغة العربية 2009 ،ص 272،